بحث بعنوان :

من صفات المتقين في سورة آل عمران
دراسة تحليلية للآية [١٣٤]

إعداد :

د. منال السر قسم السيد حسن

الأستاذ المساعد بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الباحة

من صفات المتقين في سورة ال عمران " دراسة تحليلية للايه ١٣٤ "

منال السر قسم السيد حسن
الاستاذ المساعد بقسم الشريعة والدراسات الاسلامية
كلية الآداب والعلوم الانسانية – جامعة الباحة

الملخص

تتضح أهمية هذا البحث وأهدافه مما ذكرته آنفا من أهمية تسليط الضوء على صفات المؤمنين تمكينا لنا أهل الإسلام من قياس مقدار إيماننا بمدى اتصافنا بخصال أهل الإيمان والتقوى، وكذا إلزام كل من دخل في هذا الدين بهذه الصفات التي لا تنفصل عن الإسلام والإيمان.

وأبرز أهداف بحثنا هذا تتمثل في الحث والترغيب في هذه الصفات، وأنها السبيل الأمثل إلى الفوز برضا الله – سبحانه وتعالى - ونيل محبته، وتحصيل سعادة الدنيا والآخرة، والانتفاع خاصة بهذه الخصال التي قصرت هذا البحث عليها لأهميتها، وحاجة المجتمع الإنساني – من أجل تماسكه وترابطه - إليها، وهي الإنفاق في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، وكلها تصب في قالب الإحسان إلى عباد الله تعالى.

ولا شك أن توسع القرآن الكريم والسنة النبوية في تفصيل صفات المؤمنين يتبعه توسع في تناولها بالدراسة والبحث، فقد ألفت العديد من الكتب، وكتبت كثير من الرسائل العلمية في الماجستير والدكتوراه في هذه الصفات، ولكن لم أجد – في حدود اطلاعي – أحدا تناول هذه الآية من سورة آل عمران تحديدا بدراسة تحليلية مقتصرا على الصفات التي ذكرتها الآية، ولم أعثر على أي مؤلف بهذا العنوان.

واعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي، حيث قمت بتفسير الآيات الكريمة وتحليلها اعتمادا على ذكر أقوال جهابذة المفسرين وأهل العلم فيها، مع مناقشة مواضع الخلاف، ثم الاختيار والترجيح بينها.

الكلمات المفتاحية : المتقين . ال عمران. تحليلة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، حمدا يليق بكماله وجلاله، والصلاة والسلام على نبينا محمد أتقى خلق الله صلاة وسلاما يليقان بمقامه وفضله، وصفاته وخلاله، ورضوان الله عن آله وأصحابه، مصابيح الدجى وهداة الأنام الذين ساروا على دربه وطريقه، واتبعوا منهجه وسنته، ورضي عنا معهم برحمته ومنته، وجعلنا من المتقين.

وبعد :
فإن الحديث عن صفات المؤمنين وخلال المتقين لحديث واسع وعريض، فقد توسع القرآن الكريم في تفصيل هذه الصفات من حيث ذكرها، وبيان ثوابها وفضلها، والحث عليها والترغيب فيها، والتنفير والتحذير من نقائضها من الصفات الذميمة، وكذا السنة النبوية ذكرت الكثير من هذه الصفات، ورغبت المسلمين فيها، وبينت جزاء من اتصف بها وثوابه في الدنيا والآخرة، وعقاب من خالفها.
فلا شك أن التفصيل سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية له مغزى طيب وهدف نبيل يرمي إلى تزكية النفوس بتحبيبها في هذه الخصال وترغيبها فيها، وأيضا عرض كل مسلم نفسه عليها ومحاسبته لنفسه إذا ما هو قصر في الالتزام بها، وكذا محاسبة الله العبد عند التفريط على بينة وبصيرة.

وقد آثرت الاقتصار في بحثنا المختصر هذا على صفات المتقين التي وردت في سورة آل عمران في قوله تعالى : { ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }. [آل عمران : ١٣٤] بعد أن ختم الآية السابقة لها بقوله : { أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ }. [آل عمران : ١٣٣] ثم ذكر وصفهم في هذه الآية المذكورة آنفا.

وعلى هذا تكون حدود هذا البحث هذه الآية من سورة آل عمران، فقد اقتصرت على الصفات الواردة فيها، وهذا الاقتصار على هذه الصفات تتطلبه طبيعة هذا البحث المحدد والمختصر.

وتتضح أهمية هذا البحث وأهدافه مما ذكرته آنفا من أهمية تسليط الضوء على صفات المؤمنين تمكينا لنا أهل الإسلام من قياس مقدار إيماننا بمدى اتصافنا بخصال أهل الإيمان والتقوى، وكذا إلزام كل من دخل في هذا الدين بهذه الصفات التي لا تنفصل عن الإسلام والإيمان.

وأبرز أهداف بحثنا هذا تتمثل في الحث والترغيب في هذه الصفات، وأنها السبيل الأمثل إلى الفوز برضا الله – سبحانه وتعالى - ونيل محبته، وتحصيل سعادة الدنيا والآخرة، والانتفاع خاصة بهذه الخصال التي قصرت هذا البحث عليها لأهميتها، وحاجة المجتمع الإنساني – من أجل تماسكه وترابطه - إليها، وهي الإنفاق في السراء والضراء، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، وكلها تصب في قالب الإحسان إلى عباد الله تعالى.

ولا شك أن توسع القرآن الكريم والسنة النبوية في تفصيل صفات المؤمنين يتبعه توسع في تناولها بالدراسة والبحث، فقد ألفت العديد من الكتب، وكتبت كثير من الرسائل العلمية في الماجستير والدكتوراه في هذه الصفات، ولكن لم أجد – في حدود اطلاعي – أحدا تناول هذه

الآية من سورة آل عمران تحديدا بدراسة تحليلية مقتصرا على الصفات التي ذكرتها الآية، ولم أعثر على أي مؤلف بهذا العنوان.

واعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي، حيث قمت بتفسير الآيات الكريمة وتحليلها اعتمادا على ذكر أقوال جهابذة المفسرين وأهل العلم فيها، مع مناقشة مواضع الخلاف، ثم الاختيار والترجيح بينها.

وجاء كل ذلك على ضوء قواعد البحث العلمي المتعارف عليها، مسندة الفضل إلى أهله، والقول إلى قائله بما تتطلبه الأمانة العلمية، ومتبعة طريقة معتمدة من طرائق التوثيق العلمي السليم.

وطالعنا بحثنا في هيكله المشكل من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة .
اشتملت المقدمة على مدخل للموضوع، وبيان حدوده، وأهميته والدافع للكتابة فيه، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في معالجته، ثم هيكل البحث وخطته.

وفي التمهيد سلطت الضوء على صفات المؤمنين في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وجاء مبحثنا الأول: سورة آل عمران والتقوى، أردفناه بمبحثنا الثاني: صفات المتقين في الآية ١٣٤، فقد عرضت فيه لصفة الإنفاق في السراء والضراء، صفة كظم الغيظ، وصفة العفو عن الناس، ثم ختمت البحث بخاتمة ملخصة له، وذكرت أهم النتائج والتوصيات.

هذا وأسأل الله – تعالى – أن يتقبل مني هذا الجهد القليل في ذلك الموضوع وينفع به، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وفي موازين حسنات كل من علمني حرفا من أهل العلم والفضل، كما أسأله – عز وجل - أن يغفر زلتي وخطئي إنه قريب مجيب.
وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مدخل:

صفات المؤمنين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

اتصف المؤمنون في ضوء القرآن والسنة بعدة صفات، فقد وصف الله – سبحانه وتعالى – عباده المؤمنين في محكم تنزيله بالكثير من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة التي تميزهم وتفضلهم على من سواهم.
وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية يجد الكثير من هذه الآيات والأحاديث في وصف أهل الإيمان والتقوى.
ولا تخفى حكمة هذا الوصف على ذي عقل، فإن ورود هذه الصفات في القرآن والسنة بمثابة ميزان يقاس به الإيمان والتقوى، كما أنها بيان للسبل التي تنال بها محبة الله – عز وجل – ورضوانه، ويحصل للعبد بها الفوز والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، والسعيد من يعرض نفسه عليها ليرى قدر ما معه من الإيمان والتقوى، وليعرف حجم اتصافه بهذه الخصائص والأحوال، ومن ثم يجتهد في الإصلاح والتقويم.
وهذه - على سبيل المثال لا الحصر – طائفة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي عنيت بوصف عباد الرحمن من أهل الإيمان، وبيان مناقبهم التي خصوا بها دون سائر الناس.

ولنبدأ بآيات القرآن الكريم :
فقد ورد في صدر سورة البقرة ثلاث آيات في وصف المتقين، فقد ذكرهم الله – تعالى – في قوله :{ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ }. [البقرة : ٢]، ثم وصفهم في قوله : { ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ }. [البقرة : ٣ – ٥]
وتشتمل هذه الآيات على عدد من الصفات التي وصف الله - تعالى – بها المتقين، منها : إيمانهم بالغيب، وهو الإيمان الشرعي المشار إليه في حديث جبريل – عليه السلام – حيث قال للنبي – صلى الله عليه وسلم - : (فأخبرني عن الإيمان. قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال : صدقت...) [١].

ومنها إقامتهم للصلاة، أي : أداؤها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها، ومنها : إنفاقهم مما أعطاهم الله – تعالى – من رزق، والإنفاق : إخراج المال من اليد، أي : يؤتون ما ألزمهم الشرع من زكاة وغيرها، مع ما ندبهم إليه، ومنها : إيمانهم بما أنزل على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وهو القرآن الكريم، وبما أنزل من قبله من الكتب السالفة، ومنها : علمهم بالبعث والنشر دون شك.
وختمت الآيات ببيان حال أولئك المتقين المتصفين بهذه الصفات بأنهم على هدى من ربهم، وأنهم الفائزون بالجنة والباقون فيها [٢].

وورد كذلك في سورة آل عمران آيات عديدة تحدثت عن المتقين، منها قوله تعالى : { قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ

وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ }. [آل عمران : ١٥]. ذكر الله تعالى في هذه الآية جزاءهم ثم وصفهم في قوله : { ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ }.[آل عمران : ١٦، ١٧]
فالذين اتقوا هم الذين يقولون : ربنا إننا صدقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك، فاستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها، وتركك عقوبتنا عليها، وادفع عنا عذابك إيانا بالنار، وهم كذلك الذين صبروا في البأساء والضراء وحين البأس، والذين صدقوا الله في قولهم بتحقيقهم الإقرار به وبرسوله، وما جاء به من عنده بالعمل بما أمرهم به، والانتهاء عما نهاهم عنه، وهم المطيعون لله، والمؤتون زكوات أموالهم على ما أمرهم بإتيانها، والمنفقون أموالهم في الوجوه التي أذن الله لهم – جل ثناؤه – بإنفاقها فيها، وهم المستغفرون بالأسحار السائلون ربهم الستر عليهم (٣).
كما ورد ذكر المؤمنين وصفتهم في سورة الأنفال في قوله تعالى : { إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ }. [الأنفال : ٢-٤].
فهم الذين إذا ذكر الله – عز وجل – خافت وفرقت قلوبهم، وإذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم تصديقا ويقينا، كما أنهم يفوضون إلى الله – تعالى – أمورهم ويثقون به، ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه، ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله – عز وجل – وهؤلاء المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون يقينا لا شك في إيمانهم، وقد وعدهم الله – عز وجل – بارتقاء درجات الجنة، ومغفرة لذنوبهم، ورزق حسن أعده لهم في الجنة (٤).
كما تصدرت سورة المؤمنون بذكر عدد من أوصافهم، حيث قال تعالى : { قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ }.
[المؤمنون : ١- ١١].
ذكر الله – تعالى – في هذه الآيات فوز المؤمنين وسعادتهم، ثم بيَّن صفاتهم، وهي : حضور قلوبهم بين يدي الله – تعالى – في صلاتهم، وكف ألسنتهم عن الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة، وإعراضهم عن المحرم من باب أولى، وكذا تأديتهم لزكاة أموالهم، وتزكيتهم لأنفسهم من أدناس الأخلاق، وحفظهم لفروجهم عن الزنا وتجنبهم ما يدعو إليه، فحفظوا فروجهم عن كل أحد إلا الزوجة والأمة المملوكة، فلا لوم عليهم بقربهما، لأن الله – تعالى – أحلهما، وأخبر أن من ابتغى غير الزوجة والسرية فهم الذين تعدوا ما أحل الله إلى ما حرمه.
ومن صفاتهم كذلك حفظهم لجميع الأمانات التي هي حق لله، والتي هي حق للعباد ، وحرصهم على القيام بها وتنفيذها، ومراعاتهم ووفائهم للعهد الذي بينهم وبين ربهم، والذي بينهم وبين العباد، وهي الالتزامات والعقود، وكذا مداومتهم على الصلاة في أوقاتها، وحفظهم لحدودها وأشراطها وأركانها، ثم بين الله – تعالى – جزاءهم بأنهم الذين يرثون الفردوس، وهو أعلى الجنة ووسطها وأفضلها، لأنهم حلّوا من صفات الخير أعلاها وذروتها، لا يظعنون عن هذه الجنة لاشتمالها على أكمل النعيم من غير مكدر ولا منغص (٥).

فهذه أمثلة يسيرة من جملة كثيرة من الآيات القرآنية التي تعرضت لأحوال المؤمنين، وبينت صفات المتقين التي تؤدي بهم بفضل الله – تعالى – إلى سبل الفلاح والنجاح، والريادة والسعادة في الدنيا والآخرة، مما يتحتم علينا جميعا الالتزام بها والانتفاع بآثارها.

واهتمت السنة النبوية كذلك بتسليط الضوء على صفات المؤمنين، ووجوب الالتزام والتقيد بها، حيث وردت أحاديث كثيرة في ذلك. أنتخب منها على سبيل المثال :

عن صهيب [٦] قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : (عجبا لأمر المؤمن. إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) [٧].

فقد خص هذا الحديث المؤمن بأن ما يحصل له من أقدار الله – تعالى – هو محض نعمة وفضل منه سبحانه، فالمؤمن يتقلب بين ما يسره من الخير فيشكر الله – عز وجل – عليه، وبين ما يسوؤه من البلاء فيصبر ويحتسب، وفي كلٍّ خير، حيث يثيبه الله – تعالى – على شكره، ويكفر سيئاته، ويرفع درجاته بصبره.

وروي عن النعمان بن بشير [٨] – رضي الله عنه – أنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) [٩].

في هذا الحديث تشبيه لحال المؤمنين في رحمة بعضهم بعضا وتحابهم وتعاونهم بحال الجسد الواحد إذا شكا أحد أعضائه لمرض أصابه، فإن جميع أعضائه تشارك ذلك العضو المصاب في عدم النوم والإصابة بالحمى بسبب الألم الذي ألم بذلك العضو [١٠].

وعلى هذا النسق أيضا جاء حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) [١١]، حيث جاء التشبيه في هذا الحديث للمؤمن الذي يعين إخوانه، ويشد من أزرهم بالبنيان المتماسك في أجزائه التي تقوي بعضها بعضا.

ومن الأحاديث كذلك في وصف المؤمنين قوله – صلى الله عليه وسلم - : (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ) [١٢].

فلا يكون المؤمن عيابا للناس ولا لعانا لهم، وصيغة المبالغة فيهما تدل على أن كامل الإيمان قلَّ أن يخلو عن المنقصة، ولا يكون المؤمن كذلك فاحشا لا في كلامه ولا في فعاله، والمراد الشتم القبيح الذي يقبح ذكره، كما لا يكون المؤمن بذيئا، أي : لا حياء له.

وفي الحديث إشارة ودلالة على أن المؤمن الذي تقع منه هذه الخصال ليس بكامل الإيمان، بل هو ناقصه [١٣].

فهذه نماذج يسيرة من أحاديث كثيرة تبين صفات المؤمنين ، وحال عباد الله المتقين الذين فازوا وسعدوا في الدارين بامتثالهم أوامر ربهم – عز وجل – ورسوله – صلى الله عليه وسلم – واجتناب نواهيهما.

ولعل الحكمة من ذلك البيان سواء في القرآن أو السنة هي اعتبار أهل الإيمان بهذه الصفات، وعرض أنفسهم عليها، وإدراك تقصيرهم في الاتصاف بها، لعل ذلك يكون دافعا لهم للإصلاح، وليتذكر ذووا العقول وأصحاب القلوب ممن يلقون السمع وهم شهود.

المبحث الأول: سورة آل عمران والتقوى

آثرنا قبل الشروع في الكلام عن صفات المتقين في الآية الكريمة أن نقدم في بحثنا هذا – بين يديها - بعضا من الفوائد، وإطلالة على سورة آل عمران، تسميتها، وتصنيفها من حيث المكي والمدني، وآياتها، وترتيبها، وأسباب نزولها، وفضلها.

أما عن تسميتها فكما جاء عن صاحب (المختصر في أسماء السور) فسميت بآل عمران، وهي أكثر ما اشتهرت به، وما سماها به رسول الله – ﷺ - في الحديث الشريف: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة تقدمه سورة البقرة وآل عمران"، كما اشتهرت بهذا الاسم على ألسنة كثير من الصحابة – رضوان الله عليهم – كعثمان بن عفان وابن عباس وغيرهم. وكان سبب تسميتها بذلك الاسم ما ورد فيها من مكارم آل عمران بن ماثان أبو مريم وزوجه حنة، وأختها زوج زكريا، وزكريا.

ولها من الأسماء أيضا الزهراء والطيبة، فقد روي عن سعيد بن منصور قال: اسم آل عمران في التوراة طيبة، ولها أيضا الكنز سماها بذلك عبد الله بن مسعود – ﷺ - أنه قال: نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران، يقوم بها الرجل من آخر الليل، وعلل ذلك بأنه يكون أجرها كالكنز لأصحابه يوم القيامة، ولها كذلك الأمان من الحياة، كما أن لها من الأسماء سورة الاستغفار، وكذلك المعينة والمجادلة، ذكر تلك الأسماء الألوسي في تفسيره[١٤].

وذكر أيضا صاحب (صفوة التفاسير) هذا السبب بقوله: "سميت السورة بآل عمران لورود ذكر قصة تلك الأسرة الفاضلة "آل عمران" والد مريم أم عيسى، وما تجلى فيه من مظاهر القدرة الإلهية بولادة مريم البتول، وابنها عيسى عليهما السلام"[١٥].

وأما عن مدنيتها فهو مجزوم بذلك، فقال صاحب (التحرير والتنوير): "وهذه السورة نزلت بالمدينة بالاتفاق"[١٦].

وقيل كما أعلن ذلك (صاحب البرهان في علوم القرآن) إلى مدني ومكي أقوال: "ما نزل بمكة فهو مكي وما نزل بالمدين فمدني، والأشهر أن ما نزل قبل الهجرة فمكي، وإلا فهو مدني، والقول الثالث ما كان خطابا لأهل مكة فمكي، وما كان خطابا لأهل المدينة فمدني. فهي مدنية تتحدث - شأنها شأن السور المدنية - عن الحدود"[١٧].

وإذا تأملنا عدد آياتها وجدنا أنها لا نظير لها، وقيل: لا نظير لها في عددها[١٨] وتلت سورة البقرة،

وجاء في بيان سر ترتيبها ومناسبتها لموضعها ما قال به صاحب (أسرار ترتيب القرآن)، حيث جاء عنده: "قد تقدم ما يؤخذ منه مناسبة وضعها. قال الإمام: لما كانت هذه السورة قرينة سورة البقرة، وكالمكملة لها، افتتحت بتقرير ما افتتحت به تلك، وصرح في منطوق مطلعها بما طوى في مفهوم تلك، وأقول: قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات، أحدها: مراعاة القاعدة التي قررتها، من شرح كل سورة لإجمال ما في السورة قبلها..." [١٩].

وعن مناسبتها لموضعها فقد ثبت لدى صاحب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) أن مناسبتها هو بيان التوحيد، فقال: ومناسبة هذا الأول بالابتدائية لآخر ما قبلها أنه لما كان آخر البقرة في الحقيقة آية الكرسي، وما بعدها إنما هو بيان لأنها أوضحت أمر الدين، بحيث لم يبق وراءها مرمى لمتعنت..." [٢٠].

ووافق نزول تلك السورة الجليلة أمور عظيمة حرص على تسجيلها صاحب (أسباب النزول) إذ قال: قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: إن يهود أهل المدينة قالوا لما هزم الله المشركين يوم بدر: هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى، ونجده في كتابنا بنعته وصفته، وإنه لا ترد له راية، فأرادوا تصديق واتباعه، ثم قال بعضهم لبعض، لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة له أخرى، فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله – □ - شكوا، وقالوا: لا والله ما هو به..." [٢١].

وأشار أيضا صاحب (صفوة التفاسير) إلى مناسبة أخرى إذ قال: نزلت هذه الآيات في وفد نصارى نجران، وكانوا ستين راكبا، فيهم أربعة عشر من أشرافهم ثلاثة منهم أكابرهم "عبد المسيح" أميرهم و"الأيهم" مشيرهم، وأبو حارثة بن علقمة حبرهم، فقدموا على النبي – □ - فتكلم منهم أولئك الثلاثة معه فقالوا تارة عيسى هو الله، لأنه كان يحي الموتى، وتارة هو ابن الله إذ لم يكن له أب، وتارة إنه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا، ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت.
فقال لهم رسول الله – □ -: "ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى يموت. قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه. قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربنا قائم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه، فهل يملك عيسى شيء من ذلك؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك إلا ما علم؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث، وأن عيسى كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث! قالوا: بلى، فقال – □ -: فكيف يكون كما زعمتم؟ فسكتوا وأبوا إلا الجحود، فأنزل الله من أول السورة إلى نيف وثمانين آية" [٢٢].
وقد ذكر (لباب النقول): "ان النصارى أتوا النبي – □ - فخاصموه في عيسى، فأنزل الله: {ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم}، وقال ابن اسحق: لما قدم أهل نجران على رسول الله – □ - يسألونه عن عيسى بن مريم نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين" [٢٣].
واشتملت تلك السورة الجليلة على معان وأغراض أهمها ما ذكره صاحب (التحرير والتنوير) إذ قال: الابتداء بالتنويه بالقرآن ومحمد – □ - وتقسيم آيات القرآن، ومراتب الأفهام في تلقيها، والتنويه بفضيلة الإسلام وأنه لا يعدله دين، وأنه لا يقبل دين عند الله بعد ظهور الإسلام غير الإسلام، والتنويه بالتوراة والإنجيل، والإيماء إلى أنهما أنزلا قبل القرآن تمهيدا لهذا الدين، فلا يحق للناس أن يكفروا به، وعلى التعريف بدلائل إلهية الله – تعالى – وانفراده، وإبطال دلالة الذين اتخذوا آلهة من دون الله" [٢٤].
ومن تلك المعاني ما رصده صاحب (صفوة التفاسير)، حيث قال: "سورة آل عمران من السور المدنية الطويلة، وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على ركنين هامين من أركان الدين، هما: الأول ركن العقيدة وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية الله – ﷻ - الثاني: التشريع وبخاصة فيما يتعلق بالمغازي والجهاد في سبيل الله، أما الأول فقد جاءت الآيات الكريمة لإثبات الوحدانية والنبوة، وإثبات صدق القرآن، والرد على الشبهات التي يثيرها أهل الكتاب حول الإسلام والقرآن وأمر محمد □، وإذا كانت سورة البقرة قد تناولت الحديث عن الزمرة الأولى من أهل الكتاب وهم اليهود، وأظهرت حقيقتهم وكشفت عن نواياهم وخباياهم، وما انطوت عليه نفوسهم من خبث ومكر، فإن سورة آل عمران قد تناولت الزمرة الثانية من أهل الكتاب ،وهم النصارى الذين جادلوا في شأن المسيح وزعموا ألوهيته، وكذبوا برسالة محمد – □ - وأنكروا القرآن الكريم" [٢٥].
وجاء في فضلها أحاديث تكفل بيانها صاحب (التبيان فيما صح من فضائل سور القرآن) إذ يقول: "عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله – □ - يقول: اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما. اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة. وعن أسماء بنت يزيد –

رضي الله عنها – إن النبي – □ - قال: "اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: {وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم} [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة آل عمران {ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم}" (٢٦).
وقد جمع صاحب (موسوعة فضائل سور وآيات القرآن) جانبا من فضائل سورة آل عمران، إذ ذكر فيها ما كان فيها على سبيل الإجمال، هي الزهراء تأتي يوم القيامة كأنها غياية... تحاج عن صاحبها، وتقدم القرآن وأهله يوم القيامة، وأن من قرأها والبقرة عد في الصحابة عظيما، وأنها جلست تؤنس قاتل جاره في قبره وتدفع عنه جمعة، وأن فيها اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وأنها من السبع الأول التي من أخذها فهو حبر، ومن المثاني الطوال التي أوتيها النبي – □ - مقابل ألواح موسى عليه السلام، ومن السبع الطوال التي أوتيها النبي – □ - مكان التوراة، وأنها كثيرا ما كان يقرأ بها النبي – □ - في الركعة الأخيرة من ركعتي الصبح، وأنها من الآيات التي يقرؤها المسلم إذا خطب للحاجة (٢٧).
وحيث إننا بصدد الحديث عن صفات المتقين، فلنا معها وقفة مع لفظة صفات، فقد نص صاحب (لسان العرب) أنها من: "وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة: حلاه، وقيل: الوصف المصدر، والصفة: الحلية، عن الليث: الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته" (٢٨).
وقرر صاحب (مقاييس اللغة) بأن: "وصف: الواو والصاد والفاء أصل واحد هو تحلية الشيء، ووصفته أصفه وصفا، والصفة: الأمارة اللازمة للشيء" (٢٩).
ونص صاحب (الكليات) على ما سبق إذ قال: الصفة هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات، وهي الأمارة اللازمة بالذات (٣٠).
وأشار إلى نحو ذلك صاحب (معجم اللغة العربية المعاصرة)، حيث قال: "إن صفة: مصدر وصف، وحالة يكون عليها الإنسان أو الشيء كالجمال أو السواد أو العلم أو الجهل، وعلامة يعرف بها الموصوف له كصفة الكرم" (٣١).
وطالعنا صاحب (الفروق اللغوية) بفارق بين الوصف والصفة، إذ قال: الفرق بين الوصف والصفة أن الوصف مصدر، والصفة فعله وفعله نقضت، فقيل: صفة وأصلها وصفة، فهي أخص من الوصف، لأن الوصف اسم جنس يقع على كثيره وقليله، والصفة: ضرب من الوصف، مثل الجلسة والمشية، وهي هيئة الجالس والماشي.
ولهذا أجريت الصفات على المعاني، فقيل: العفاف والحياء من صفات المؤمن، ولا يقال أوصافه بهذا المعنى، لأن الوصف لا يكون إلا قولا، والصفة أجريت مجرى الهيئة، وإن لم تكن بها، فقيل للمعاني نحو: العلم والقدرة صفات، لأن الموصوف بها يعقل عليها، كما ترى صاحب الهيئة على هيئة وتقول هو على صفة كذا، وهذه صفتك كما تقول هذه حليتك، ولا تقول هذا وصفك إلا أن يعنى به وصفه للشيء (٣٢).
أما عن التقوى وتعريفها، فقد كفانا مؤونة ذلك صاحب (موسوعة نضرة النعيم) حيث عرفها لغة واصطلاحا، فقال: التقوى لغة: هي الاسم من قولهم اتقى والمصدر الاتقاء، وكلاهما مأخوذ من مادة (و ق ى) التي تدل على دفع شيء عن شيء بغيره... يقال: وقيت الشيء أقيه وقيا، والوقاية ما يقي الشيء، والاتقاء اتخاذ الوقاية، وهو بمعنى التوقي، وقال الجوهري: التقوى والتقى واحد، والتقى: المتقي.
والتقوى اصطلاحا: قال الراغب الأصفهاني: التقوى في تعارف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي: الحلال بين والحرام بين، ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه، وقال الجرجاني في تعريفاته: التقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر بطاعة الله عن عقوبته وصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، وقيل: هي المحافظة على آداب الشريعة، ومجانبة كل ما يبعد المرء عن الله تعالى، وقيل هي ترك حظوظ النفس ومباينة الهوى.
وقال الفيروزآبادي: التقوى المانعة الجامعة: اجتناب كل ما فيه ضرر، وهو المعصية والفضول، فعلى ذلك تنقسم إلى فرض ونفل، وقيل: هي امتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه بفعل كل

مأمور به، وترك كل منهي عنه حسب الطاقة. قال الحليمي: حقيقة التقوى فعل المأمور به والمندوب إليه واجتناب المنهي عنه والمكروه المنزه عنه، لأن المراد من التقوى وقاية العبد نفسه من النار، وهو إنما يقي نفسه من النار بما ذكرت(٣٣).
ولنا أن نعرج على آثار من فضائل التقوى، فقد ورد كثير من آي القرآن في ذلك، منها:
الاهتداء في الدنيا والآخرة إذ قال تعالى:
{ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣)} [البقرة: ٢، ٣].
وأن منها أنها تكسو صاحبها بالصفات الحسنة من الإيمان بالله والملائكة والكتب والنبيين، وتعود الإنسان على الصدقات والصبر في كل حال، والصدق إذ قال تعالى:
{ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ..... أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون} [البقرة: ١٧٧].
ومن ثمارها الفوز بدار الخلد، دار النعيم: الجنة، والتعود على الخيرات. ومنها قال تعالى أيضا:
{وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين} [آل عمران: ١٣٣].
وقال في آية أخرى: {تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين} [القصص: ٨٣].
وقال في آية ثالثة: {إن المتقين في ظلال وعيون (٤١) وفواكه مما يشتهون (٤٢) كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون (٤٣) إنا كذلك نجزي المحسنين (٤٤)} [المرسلات].
ومن فضائلها أنها تقي الإنسان شرور الشياطين. قال تعالى:
{إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون} [الأعراف ٢٠١].

وحسبنا دلالة على جلال التقوى أن تكون جوهر التوحيد. قال صاحب (أسماء الله وصفاته): "كلمة التقوى: التوحيد" باب: ما جاء في فضل الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام وهي كلمة التقوى ودعوة الحق (لا إله إلا الله). قال أبو عبد الله الحليمي: ضمن الله جل ثناؤه المعاني التي ذكرناها في أسماء الله تعالى جده كلمة واحدة وهي: لا إله إلا الله(٣٤).
فلنعلم أن للتقوى مقامات:
مقام الورع يكون في اتقاء الشبهات.
ومقام التوبة: يكون في اتقاء المعاصي والمحرمات.
ومقام الإسلام: يكون في اتقاء الكفر.
والتقوى مأمور بها في الشرائع السابقة ولم تكن بدعا عند المسلمين، بل كانت أيضا مما دعيت إليه الأمم السابقة. قال تعالى:
{ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا} [النساء: ١٣١].
ونؤكد على أن للتقوى وسائل معينة تؤدي إلى اكتسابها، فمنها:
- دعاء الله للتحلي بها، والتحصل عليها.
- طلب الوصول إلى هذه المرتبة العظيمة.
- طلب العلم الشرعي.
- التعرف على الله وسيرة نبيه – □ - وسيرة صحبه الكرام.
- الحرص على تجنب المعاصي.
- فعل الطاعات، وأعلاها قراءة القرآن الكريم، وتدبره والتفكر في آياته.
- مصاحبة الصالحين.
- الابتعاد عن رفاق السوء.
- محاسبة النفس على أعمالها وحركاتها وسكناتها.

- استشعار عظمة الله - تعالى – ومراقبته.

المبحث الثاني

صفات المتقين في الآية ١٣٤

إن صفات المتقين في القرآن الكريم متعددة، ولنا أن نرصد منها على عجالة:
١- التوسل إلى الله – تعالى – بالإيمان به.
٢- طلب المغفرة من الله تعالى، والمبادرة للتوبة والاستغفار عند عمل السيئات الكبيرة والصغيرة، خصوصا وقت الأسحار، لأنهم مدوا الصلاة إلى وقت السحر، فجلسوا يستغفرون الله تعالى.
٣- طلبهم من الله – تعالى - الوقاية من عذاب النار.
٤- الصبر على طاعة الله وعن محارم الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.
٥- الصدق في الأقوال والأعمال والأحوال.
٦- القنوت الذي هو دوام الطاعة مع الخشوع.
٧- الإنفاق في سبيل الخيرات على الفقراء وأهل الحاجات.
٨- عدم الإصرار على الذنوب والاستمرار عليها، بل تابوا عن قريب.
٩- العفو عن كل من أساء إليهم بقول أو فعل.
١٠- ذكر الله وما توعد به العاصين، ووعد به المتقين، فيسألونه المغفرة لذنوبهم.
والتقوى من أهم الصفات التي يحرص المؤمن على الاتصاف بها، لأنها السبيل لحمايته من غضب الله وحر النار، فالتقي يبعد عن المعاصي، ويحذر ارتكاب المحرمات، لتكون تقواه وقاية له من العذاب يوم القيامة، ووردت في القرآن الكريم صفات عديدة يتحلى بها المتقون، ويصلون من خلالها إلى رضا الله تعالى وجناته. من هذه الصفات ما جمعته آيات الله تعالى.
ولنا مع تلك الصفات الواردة في الآية ١٣٤ وقفات ووقفات، فلنبدأ بالصفة الأولى، ألا وهي:

الإنفاق في السراء والضراء:
فإن هذه هي الصفة الأولى التي وصف الله – عز وجل – بها عباده المتقين بعد أن أخبر أنه أعد لهم الجنة في قوله تعالى : { وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }. [آل عمران : ١٣٣، ١٣٤].
ولعل تقديم هذه الصفة على غيرها من الصفات المذكورة في الآية جاء لأهميتها لكونها طاعة شاقة، ولأجل الحاجة إليها في مجاهدة العدو، ومواساة فقراء المسلمين في ذلك الوقت (٣٥).
والإنفاق لغة : من أنفق المال، أي : صرفه، واستنفقه : أذهبه، والنفقة : ما أنفق (٣٦).

وقال في " التعريفات " : (الإنفاق هو صرف المال إلى الحاجة) [٣٧].
والإنفاق اصطلاحا : (إخراج المال الطيب في الطاعات والمباحات) [٣٨].
وقد تعددت أقوال المفسرين في معنى الإنفاق في السراء والضراء بلا تعارض بينهم، ولكن توسع بعضهم في ذكر معانيها.
فمن الذين اختصروا في سرد المعاني صاحب " جامع البيان " الذي ذكر أن المتقين هم المنفقون أموالهم في سبيل الله، إما في صرفه على محتاج، وإما في تقوية مضعف [٣٩] على النهوض لجهاد عدو في سبيل الله، وأن المراد بالسراء والضراء : في حال السرور بكثرة المال ورخاء العيش، وفي حال الضيق والشدة. قال : وأخبر – جل ثناؤه – أن الجنة التي وصف صفتها لمن اتقاه وأنفق ماله في حال الرخاء والسعة، وفي حال الضيق والشدة في سبيله [٤٠].
وورد ذات المعنى في تفسير " مفاتيح الغيب "، حيث فسر صاحبه السراء بالغنى والضراء بالفقر، وذكر أن المعنى أنهم سواء كانوا في سرور أو في حزن، أو في يسر أو في عسر فإنهم لا يدعون الإحسان إلى الناس [٤١].
وكذا في " صفوة التفاسير " حيث ورد تفسير السراء والضراء باليسر والعسر، أو الرخاء والشدة [٤٢].
ووسع بعض المفسرين في ذكر معاني السراء والضراء، فنقلوا عن بعض أهل العلم أن معناهما : في اليسر والعسر، والرخاء والشدة، أو في حال الصحة والمرض، أو السراء حال حياتهم، والضراء وصيتهم بعد الموت، أو السراء في العرس والولائم، والضراء في النوائب والمآتم، أو السراء النفقة فيما يسر مثل النفقة على الأولاد والقرابات، والضراء مثل النفقة على الأعداء. واختار هؤلاء المفسرون العموم في الآية [٤٣].

وممن يرى أن الآية تعم كذلك صاحب " التفسير المنير " الذي أشار في تفسيره لهذه الآية إلى ذكر الله – تعالى – لأوصاف أهل الجنة، ومنها : الذين ينفقون في السراء والضراء، ثم بين المعنى بقوله : أي في الشدة والرخاء، والمنشط والمكره، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال، كما قال – تعالى - : { ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ }. [البقرة : ٢٧٤]، والمعنى : أنهم لا يشغلهم أمر عن طاعة الله – تعالى – والإنفاق في مراضيه، والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر، وذكر الحديث : (اتقوا النار ولو بشق تمرة) [٤٤].
ثم بين أن الأمر بالإنفاق له هدفان، أحدهما : أن الصدقة عون للمحتاج وأخذ بيده إلى طريق الكفاية، وثانيهما : أن الإنفاق في مختلف الأحوال يسرا وعسرا وغيرهما أدل على التقوى، وأعون على سد الحاجات المتكررة وبنحو تدريجي بطئ، فلا يكون فيه إرهاق على المنفق، ولا إهمال للمحتاج حتى يصير في أدنى درجات الحاجة، فالقليل الدائم خير من الكثير المنقطع، والقليل إذا اجتمع مع الأفراد والجماعات صار كثيرا محققا للمطلوب [٤٥]. قال تعالى : { لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا }. [الطلاق : ٧].

وعلى هذا يتبين لنا - من خلال ما ورد في التفاسير السابقة – مكانة هذه الصفة من صفات المتقين الواردة في هذه الآية، وعظم قدرها وأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع، فجاء تقديمها في الآية لما تحققه من تنمية الأخلاق وتزكيتها، وكفاية الناس وقضاء حوائجهم.

صفة كظم الغيظ :
وهي الصفة الثانية من صفات المتقين الواردة في هذه الآية، والتي جاء الحث عليها والترغيب فيها من خلال وصف أهل التقوى بها.

والكَظْمُ لغة : الإمساك والجمع للشيء، وكَظْمُ الغيظ : اجتراعُهُ والإمساك عن إبدائه، وكأنه يجمعه الكاظم في جوفه، والكَظومُ : السَّكُوت، والكُظُومُ : إمساك البعير عن الجِرَّةِ [٤٦]، والكَظَمُ : مخرج النَّفَس [٤٧].

والغيظُ : الغضبُ مطلقا، وقد فصل قوم من أهل اللغة بين الغيظ والغضب، فقالوا : الغيظ أشد من الغضب، وقال قوم : الغيظ سَوْرَةُ الغضب وأَوَّلُهُ، وقال آخرون : الغيظُ هو الكَمِينُ، والغضب هو الظاهر [٤٨].

وإذا كان أهل اللغة مختلفين في معنى الغيظ، حيث يرى بعضهم ترادفا بين الغيظ والغضب، وفرَّق البعض الآخر بينهما، فكذلك أهل التفسير نحوا ذات المنحى، فمنهم من ساوى بين اللفظين، ومنهم من صرّح بالفرق بينهما.

ولنستعرض أولا بعض أقوال المفسرين التي تفيد الترادف بين اللفظين :

جاء في تفسير " جامع البيان " : (والغيظ مصدر من قول القائل : غاظني فلان فهو يغيظني غيظا، وذلك إذا أحفظه وأغضبه) [٤٩].

وورد في " تفسير القرآن العظيم " ما نصُّه : (فقوله : { وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ }. [آل عمران : ١٣٤]، أي : لا يعملون غضبهم في الناس، بل يكفون عنهم شرهم، ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل) [٥٠].

وأيضا فإن مجموع ما ورد في هذا التفسير من الاستدلالات يدل على اختيار هذا الاتجاه [٥١].

إن عدم التفريق بين اللفظين، هو اختيار أكثر المفسرين، فقد غلب على تفاسيرهم عدم العناية بإظهار الفرق بينهما.

وذهب بعض المفسرين إلى ضرورة التفريق بين المفردتين، ومن هؤلاء صاحب تفسير " المحرر الوجيز "، حيث قال : (والغيظ أصل الغضب، وكثيرا ما يتلازمان، ولذلك فسّر بعض الناس الغيظ بالغضب، وليس تحرير الأمر كذلك، بل الغيظ فعل النفس لا يظهر على الجوارح، والغضب حال لها معه ظهور في الجوارح وفعل ما ولا بد، ولهذا جاز إسناد الغضب إلى الله – تعالى – إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم، ولا يسند إليه - تعالى – غيظ) [٥٢].

وورد نحو هذا القول كذلك في " روح المعاني "، ونصُّه : (والغيظ هيجان الطبع عند رؤية ما ينكر، والفرق بينه وبين الغضب على ما قيل : إن الغضب يتبعه إرادة الانتقام البتة، ولا كذلك الغيظ، وقيل : الغضب ما يظهر على الجوارح والبشرة من غير اختيار، والغيظ ليس كذلك، وقيل : هما متلازمان إلا أن الغضب يصح إسناده إلى الله - تعالى – والغيظ لا يصح فيه ذلك) [٥٣].

والذي تميل إليه النفس أن المفردتين شيء واحد، ولسنا بحاجة إلى التدقيق في الفرق بينهما، فكما دلّ النص القرآني والنبوي على إمكانية كظم الغيظ والتحكم فيه، دلّ النص النبوي كذلك على إمكانية تحكم الإنسان في غضبه، وليس بالضرورة ظهور أثره على الجوارح أو أن تتبعه إرادة الانتقام. قال عليه الصلاة والسلام : (ليس الشديد بالصُّرْعَةِ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) [٥٤].

أما بالنسبة لتفسير (كظم الغيظ) كمصطلح مركب، فقد ذكر فيه المفسرون أقوالا متقاربة تؤدي معنى واحدا، منها ما ذكره صاحب " الجامع لأحكام القرآن "، حيث قال : (وكظم الغيظ : ردُّه في الجوف. يقال : كظم غيظه، أي : سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه) [٥٥].

وجاء في " لباب التأويل : (والكاظمين الغيظ، يعني : والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه... وكظم الغيظ هو أن يمتلئ غيظا فيرده في جوفه، ولا يظهره بقول ولا فعل، ويصبر عليه

ويسكت عنه... روي عن عائشة – رضي الله عنها – أن خادما لها غاظها ، فقالت : لله درُّ التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء) [٥٦]) [٥٧].
وقال في " التفسير المنير " : (والكاظمين الغيظ، أي : إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى : كتموا، فلم يعملوه مع القدرة على إمضائه وإنفاذه، لا عن ضعف وعجز. قال عليه الصلاة والسلام : (ليس الشديد بالصُّرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) [٥٨]) [٥٩].

فهذا الحديث النبوي ورد فيه النهي عن التشفي، والسعي نحو الانتقام عند وقوع الغضب على اعتبار أن الغضب يمثل إحدى الغرائز الطبيعية للبشر.
أما الحديث الآخر الذي أوصى فيه النبي - صلى الله عليه وسلم – أحد الصحابة بعدم الغضب [٦٠]، فلعل المقصود به ذات المعنى المشار إليه في الحديث السابق، وهو عدم طلب الانتقام، أو تجاوز الحد عند الغضب، وليس المقصود مجرد وقوع الغضب، والله أعلم.

وحقيقةً ما أحوجنا إلى التحلي بهذا الخلق الفاضل " كظم الغيظ " في هذه الحياة الدنيا المليئة بدواعي الغضب وأسبابه طلبا لفضل هذا الخلق ونفعه في الدنيا، والثواب العظيم الذي أعده الله – تعالى – لمن تحلى به في الآخرة.

صفة العفو عن الناس
وهي الصفة الثالثة من صفات المتقين الواردة في هذه الآية، والتي أعد الله – عز وجل – لهم الجنة بسببها.
وهذه الصفة تعتبر ثمرة للصفة السابقة (كظم الغيظ)، وأعلى درجة منها، وأنفع للإنسان الذي وقع منه العفو، وكذا للمعفو عنه.
وقد قال المفسرون في هذه الصفة أقوالا لا تتعارض فيما بينها، منها ما ذكره صاحب " الكشاف " حيث قال في معنى " العافين الذين يعفون عن الناس " : (إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه، وروي : (ينادي مناد يوم القيامة : أين الذين كانت أجورهم على الله ؟ فلا يقوم إلا من عفا) [٦١]) [٦٢].
وورد في " زاد المسير " في معنى ذلك قولان، أحدهما : إنه العفو عن المماليك، والثاني على إطلاقه، فهم يعفون عمن ظلمهم [٦٣].
وقال المراغي [٦٤] في تفسيره : (أي : والذين يتجاوزون عن ذنوب الناس، ويتركون مؤاخذتهم مع القدرة على ذلك، وتلك منزلة من ضبط النفس وملك زمامها قلَّ من يصل إليها، وهي أرقى من كظم الغيظ، إذ ربما كظم المرء غيظه على الحقد والضغينة) [٦٥].
ثم ذكر [٦٦] حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : (من سره أن يشرف له البنيان، وترفع له الدرجات، فليعف عمن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعه) [٦٧].

وجاء في " زهرة التفاسير " ما نصُّه : (أما الوصف الثالث فهو العفو، وهو ثمرة لكظم الغيظ، وأنه يجب أن يكون معه، لأن الغيظ الشديد إذا لم يصحبه عفو فإنه يمض القلب ويفسد النفس وينهك القوى، فلا بد أن يقترن بالكظم العفو لمصلحة الشخص ولمصلحة الناس، ولكيلا تتولد الإحن [٦٨] وتتكاثر المحن، وليس العفو هو الستر على الجرائم، فإن الجرائم العامة إذا ظهرت وجب العقاب، لأنه تقليم لأظفارها وقطع لآثارها، فلا يصح العفو عن زان يعلن جريمته، ولا عن سارق اعتاد السرقة واستهان بالحرمات وروَّع الآمنين... فإن العفو في هذه الأمور استهانة بحرمات الله تعالى، إنما العفو المطلوب هو الذي يكون في أنواع الأذى الشخصي، وهي التي ينطبق عليها قول الله تعالى : { خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ }. [الأعراف : ١٩٩]) [٦٩].

أما قوله تعالى : { وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ }. [آل عمران : ١٣٤]، فقد عدَّه بعض المفسرين إشارة إلى صفة رابعة في هذه الآية، وهي صفة الإحسان، واعتبرها البعض الآخر صفة شاملة للأوصاف المذكورة في الآية.
وإن شاء الله أستعرض أولا بعض أقوال الفريقين، ثم أختار الذي أراه أقرب إلى الحق منها.
فمما يشير إلى أن ذيل هذه الآية يعتبر صفة أخرى من صفات المتقين ما ورد في " زهرة التفاسير " حيث نصَّ مؤلفه بعد إيراده لذيل الآية على ذلك بقوله : (وهي الصفة الرابعة، وقد ذكرها سبحانه بهذه الصفة لتوجيه النظر إليها، ولبيان أنها أعلى منازل التقوى، وأنها تنال بها محبة الله تعالى) [٧٠].
ثم استطرد في بيان معنى الإحسان، وذكر أن الآية الكريمة تومئ إلى أن البر التقي يكظم غيظه ويعفو عمن ظلمه، بل يحسن إليه إن كان للإحسان موضع، ثم استدل بما يؤيد مذهبه [٧١].
ومما يشير إلى أن الإحسان المذكور في الآية صفة شاملة للأوصاف الثلاثة قبله ما ورد في تفسير " فتح القدير " حيث ذكر مؤلفه أن اللام في (المحسنين) يجوز أن تكون للجنس، فيدخل فيه كل محسن من هؤلاء وغيرهم، ويجوز أن تكون للعهد فيختص بهؤلاء، ثم اختار القول الأول اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السياق، فيدخل تحته كل من صدر منه مسمى الإحسان [٧٢].
وأيضا ورد في " محاسن التأويل " أن اللام إما للجنس، وهؤلاء الموصوفون داخلون فيه دخولا أوليا، وإما للعهد، عبّر عنهم بالمحسنين إيذانا بأن النعوت المعدودة هي من باب الإحسان الذي هو الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي، وقد فسَّره النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله : (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [٧٣]، والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها [٧٤].

إلى غير ذلك مما ورد في كثير من التفاسير يشير إلى هذا الاتجاه، فإن الناظر في هذه التفاسير يتبين له – بما لا يدع مجالا للشك – أن معظم المفسرين قد وقع اختيارهم لهذا المذهب الثاني الذي يقضي بأن الإحسان صفة شاملة للصفات الأخرى المذكورة قبلها في الآية، وليست صفة مستقلة في هذه الآية – كما ذهب البعض – وهو ما تميل إليه النفس، لكونه قول أكثر المفسرين، ولأن محبة الله – تعالى – للمحسنين المذكورة في الآية تعتبر شاملة لهؤلاء المحسنين جميعهم، وليست خاصة بفئة معينة من أهل الإحسان.
ولو أمعنا النظر في هذه الصفات المذكورة جميعها لوجدنا كل صفة منها تصب في قالب الإحسان إلى الغير، وتخدم هذا الغرض ولا شك، ولذلك لم أفرد هذه الصفة بمبحث رابع مستقل، وجعلتها شاملة لما ورد قبلها من صفات في هذه الآية.

الخاتمة

أختم بما بدأت به أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أحمده سبحانه وتعالى أن وفقني لإتمام هذا البحث النافع بإذنه تعالى، فهو في موضوع قيم من موضوعات العلم الشرعي، وفي مجال تفسير كلام الله تعالى، ولا شك أن شرف العلم من شرف المعلوم، ولا يوجد أشرف من كتاب الله تعالى.

وقد تناولت في هذا البحث – بتوفيق من الله عز وجل – ثلاث قيم فاضلة من القيم التي يحتاجها المجتمع المسلم، بل والمجتمعات الإنسانية قاطبة من أجل تحقيق معاني التسامح والترابط والتماسك بين أفرادها، وحماية هذه المجتمعات – في المقابل – من رذائل الأخلاق كالأنانية وحب الذات، والسعي وراء تحقيق مطامع النفس، ولو على حساب الآخرين وغمط حقوقهم، أو إرادة الانتقام والانتصار على الغير، ولو بظلم واعتداء.

وهذه القيم الفاضلة – موضوع البحث – تتمثل أولا في صفة الإنفاق في السراء والضراء، وهي من أروع القيم والأخلاق التي ينبغي أن تسود بين الناس، فبها تتحقق معاني التكافل والترابط بين أبناء المجتمع الواحد، ولا يندم الإنسان بعد موته على شيء مثل ندمه على تقصيره في هذه الصفة الفاضلة. يقول تعالى : { وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ }.[المنافقون : ١٠]

وكذلك من الصفات التي ذكرتها الآية الكريمة – موضوع البحث – صفتا كظم الغيظ والعفو عن الناس، وهما من القيم الحميدة التي ينبغي الاتصاف بها من أجل تحقيق معاني التسامح وسلامة الصدور، والتنزه عن الأحقاد والضغائن، وأيضا لتحصيل رفعة القدر، والسلامة من كثير من العلل والأسقام التي تصيب من لا يلتزم بها.

وقد أعد الله – عز وجل – ثوابا عظيما وفضلا كبيرا لمن عمل بهذه الخصال، وهو دخول الجنة وكسب محبة الله – عز وجل – وهذا خير عظيم.

وفي الحقيقة أن هذه الخصال يشق فعلها على كثير من الناس، ولا يؤديها إلا أصحاب الهمم والعزائم العاملين الذين يطلبون سلعة الله الغالية، ألا وهي الجنة.

وعلى هذا فإن ما يخلص له هذا البحث من نتائج تتمثل في الآتي :

١/ إن هذه الآية الكريمة – موضوع البحث – اشتملت على ثلاث قيم فاضلة تحتاج المجتمعات البشرية لتطبيقها، وهي : صفة الإنفاق في السراء والضراء، كظم الغيظ والعفو عن الناس، وعلى خلاف في الرابعة، وهي صفة الإحسان. هل هي صفة قائمة بذاتها، أم أنها تتضمن الصفات الثلاث المذكورة في الآية، وهذا الأخير هو مذهب أكثر المفسرين، وهو ما عملت به هذا البحث.

٢/ جاء تقديم صفة الإنفاق في السراء والضراء على غيرها من الصفات الأخرى لأهميتها، ولكونها طاعة شاقة، ولأجل الحاجة إليها في مجاهدة العدو، ومواساة فقراء المسلمين في وقت نزول القرآن الكريم.

٣/ إن الناس عامة بحاجة إلى التحلي بخلق كظم الغيظ في هذه الحياة الدنيا الممتلئة بدواعي الغضب وأسبابه، طلبا لفائدة هذا الخلق في الدنيا، والثواب العظيم الذي أعده الله – عز وجل – لمن تخلق به في الآخرة.

٤/ صفة العفو عن الناس تعتبر ثمرة لصفة كظم الغيظ، وأعلى درجة منها، وأنفع لمن وقع منه العفو وللمعفو عنه كذلك.

٥/ جميع هذه الصفات المذكورة في الآية تعتبر من باب الإحسان إلى الناس، لذا فإن محبة الله – عز وجل – تشمل هؤلاء المحسنين جميعا، وليست خاصة بفئة منهم دون أخرى.

ووصيتي في هذا البحث – لنفسي أولا ولغيري ثانيا – هي الالتزام بهذه المبادئ النافعة والمثل العليا والقيم الرفيعة التي وصف الله – عز وجل – من تحلى بها بالتقوى، وأخبر أنه أعد لهؤلاء المتقين الجنة.
فمن كانت فيه هذه الصفات فليحمد الله – سبحانه - عليها، وليحافظ عليها، فهي نعم عظيمة، وخير كثير، ومن لم تكن فيه أو فقد بعضها فعليه أن يجاهد نفسه بالتدرب والصبر عليها، حتى تتحول إلى أخلاق فطرية ثابتة لا يجد مشقة أو تكلفا في فعلها.

والله الموفق لما فيه الخير والنفع، وهو الهادي إلى أحسن السبل.

والحمد لله رب العالمين

هوامش البحث :

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، ٢ - كتاب الإيمان، ١- باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، حديث رقم (١٠٢)، (١/ ٢٨)، مسلم بن الحجاج، أبو الحسين، صحيح مسلم، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة بيروت.

(٢) انظر : القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، (١ / ١٦٣ – ١٨٢).

(٣) انظر : الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، (٦ / ٢٦٣ - ٢٦٧).

(٤) انظر : البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تحقيق : محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، (٣ / ٣٢٦، ٣٢٧).

(٥) انظر : السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ص ٥٤٧.

(٦) صهيب : (٣٢ ق هـ - ٣٨ هـ) هو : صهيب بن سنان بن مالك، صحابي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، وكان يعرف بصهيب الرومي، ولد بالموصل، وتوفي بالمدينة، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها. له : (٣٠٧) حديث.
(انظر : الزركلي، خير الدين محمود بن محمد، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م، (٣ / ٢١٠)).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، ٥٣ – كتاب الزهد والرقائق، ١٣- باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (٢٩٩٩)، (٤ / ٢٢٩٥)، صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٨) النعمان بن بشير : هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، ولد قبل وفاة الرسول – صلى الله

عليه وسلم – بثماني سنين وسبعة أشهر، وهو الأصح، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة في قوله. له ولأبويه صحبة. يكنى أبو عبد الله. قتل سنة ٦٤هـ.
(انظر : ابن الأثير، علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ترجمة رقم (٥٢٣٧)، (٥ / ٣١٠)).

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، ٧٨ – كتاب الأدب، ٢٧ – باب رحمة الناس البهائم، حديث رقم (٦٠١١)، (٨ /١٠)، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ، شرح وتعليق : د. مصطفى ديب البغا.

(١٠) انظر : المرجع السابق، (٨ / ١٠).

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه، ٧٨ – كتاب الأدب، ٣٦ – باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، حديث رقم (٦٠٢٦)، (٨ /١٢)، المرجع السابق.

(١٢) أخرجه الترمذي في سننه، ٢٥ – كتاب البر والصلة، ٤٨ – باب ما جاء في اللعنة، حديث رقم (١٩٧٧)، (٣ / ٤١٨)، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
وقال الحاكم في المستدرك : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.
(انظر : الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، (١ / ٥٧)).

(١٣) انظر : الملا الهروي القاري،علي بن (سلطان) محمد أبو الحسن نور الدين، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، (٧ / ٣٠٤٤).

(١٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، (٢/ ٧١).
وانظر: المختصر في أسماء السور، د. إبراهيم بن سليمان آل هويمل، مجلة جامعة الإمام، العدد ٣٠، ربيع الآخر ١٤٢١هـ، ص ١٠.

(١٥) صفوة التفاسير، علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط ٤، ١٩٨١م، (١/ ١٨٣).

(١٦) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط ١، ١٩٨٤م، (٣/ ١٤٣).

(١٧) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (د.ت) (د.ط)، (١/ ١٨٨).

(١٨) البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني الأندلسي، تحقيق د. غانم قدوري، منشورات مركز المخطوطات، والتراث، الكويت، ط ١، ١٩٩٤م، ص ١٤٣.

(١٩) أسرا ترتيب القرآن، السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٨م، ص ٨٣.

(٢٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت) (د.ط)، (٤/ ١٩٨).

(٢١) أسباب نزول القرآن، الواحدي، أبو الحسن علي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، ص ١٠٠.

(٢٢) صفوة التفاسير، علي الصابوني، دار القرآن الكريم، ص ١٨٣.

(٢٣) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٥٣.

(٢٤) التحرير والتنوير، ص ١٥٤.

(٢٥) صفوة التفاسير، علي الصابوني، دار القرآن الكريم، ص ١٨٢.

(٢٦) التبيان فيما صح من فضائل سور القرآن، أبو همام البيضاني، دار الاستقامة، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٢٤.

(٢٧) انظر: موسوعة فضائل سور القرآن وآيات القرآن، محمد طرهوني، دار ابن القيم، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ، (١/ ١٩٩).

(٢٨) لسان العرب، ابن منظور المصري، دار المعارف، القاهرة، مادة (وصف)، (د.ت) (د.ط).

(٢٩) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ط ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (٦/ ١١٥).

(٣٠) الكليات، أبو البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، ص ٨٣.

(٣١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، وآخرون، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م، مادة وصف.

(٣٢) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، حققه: جمال مدغمش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٣٠.

(٣٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح، (د.ك) (د.ت) (د.ط) (٤/ ١٠٨٠).

(٣٤) مفصل آيات القرآن ترتيب معجمي، تصنيف: د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م، ص
٦٠٦٨.

(٣٥) انظر : الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، مج ٥، (٩ / ٧).

(٣٦) انظر : ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، (١٠ / ٣٥٧).

(٣٧) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ، ص ٥٧.

(٣٨) العلّاف، عبد الله بن أحمد الغامدي، فضل الصدقة والإنفاق، مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٧هـ، ص ١.

(٣٩) أضعف فلان : ضعفت دابته، يقال : هو ضعيف مُضعِف، فالضعيف في بدنه، والمضعف في دابته.
(انظر : مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، (٢٤ / ٥١)).

(٤٠) انظر : الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، (٦ / ٥٦، ٥٧).

(٤١) انظر : الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب ، مرجع سابق، (٩ / ٧).

(٤٢) انظر : الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني، ط ٩، ١٣٩٩هـ، (١/ ٢٣٠).

(٤٣) انظر : القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، طبعة دار الكتب المصرية، ط ٣، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، (٤ / ٢٠٦).
وانظر : أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة ، (٣ / ١٤١٢).

(٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ٢٤ – كتاب الزكاة، باب : اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، حديث رقم (١٤١٧)، (٢ / ١٠٩). انظر : صحيح البخاري، مرجع سابق.

(٤٥) انظر : الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، (٣ / ٨٦، ٨٧).

(٤٦) الجِرَّةُ : (بكسر الجيم)، ما يخرجه البعير من كرشه فَيَجْتَرُّ، وكظم البعير جِرَّتَهُ : ازدردها وكف عن الاجترار.
وقال القرطبي : الجرة (بالكسر) : ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه.
(انظر : الزبيدي. مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (٣٣ / ٣٦٢)، وانظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (٤ / ٢٠٦)).

(٤٧) انظر : ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، (٥ / ١٨٤، ١٨٥).

(٤٨) انظر : الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، مرجع سابق، (٢٠ / ٢٤٨).

(٤٩) الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، مرجع سابق، (٧ / ٢١٥).

(٥٠) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق : سالم محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، (٢ / ١٢٢).

(٥١) انظر : المرجع السابق، (٢ / ١١٧ – ١٢٢).

(٥٢) ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، (١ / ٥٠٩).

(٥٣) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، (٢ / ٢٧٢، ٢٧٣).

(٥٤) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة، ٧٨ – كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم (٦١١٤)، (٨ / ٢٨) . انظر : صحيح البخاري، مرجع سابق.

(٥٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (٤ / ٢٠٦).

(٥٦) أورد هذا الأثر القسطلاني، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر في : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣هـ، (٩ / ٧٠).

(٥٦) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح : محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، (١ / ٢٩٧، ٢٩٨).

(٥٨) أخرجه أحمد في مسنده، في مسند المكثرين من الصحابة (ابتداء مسند أبي هريرة رضي الله عنه)، حديث رقم (٧٢١٨)، انظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار الحديث ، القاهرة، ط ١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، (٧ / ٦١).

(٥٩) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق، (٤ / ٨٧).

(٦٠) قصدتُ حديث أبي هريرة – رضي الله عنه - حيث قال : (أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – رجل فقال : مرني بأمر ولا تكثر علي حتى أعقله. قال : لا تغضب، فأعاد عليه : لا تغضب).
(أخرجه أحمد في مسنده، في مسند المكثرين من الصحابة (مسند أبي هريرة)، حديث رقم (٨٧٤٤) . انظر : مسند أحمد بن حنبل بتحقيق شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، (١٤، ٣٥٧)) .

(٦١) ورد نحوه في مسند أحمد، في ترجمة الإمام أحمد (ذكر المحنة)، ونسب إلى الحسن. انظر : المسند بتحقيق : أحمد محمد شاكر، (١ / ١١٣).
كما ورد نحوه في : شعب الإيمان عن الحسن عن عمران بن حصين مرفوعا، ٤٩ - طاعة ولي الأمر، قيام الأوزاعي مع المنصور وعظته إياه، حديث رقم (٧٠٥٠).
(انظر : البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق : مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٣هـ، (٩ / ٥٢٤)).

(٦٢) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ، (١ / ٤١٥).

(٦٣) انظر : ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ ، (١ / ٣٢٦).

(٦٤) المراغي : (ت ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م)، أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر مصري، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ١٩٠٩م، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس بها، وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غردون بالخرطوم. توفي بالقاهرة. له كتب، منها : الحسبة في الإسلام، والوجيز في أصول الفقه، وتفسير المراغي، وعلوم البلاغة.

(انظر : الزركلي، خير الدين، الاعلام، مرجع سابق، ط ١٥، ٢٠٠٢م، (١ / ٢٥٨)).

(٦٥) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م، (٤ / ٧١).

(٦٦) انظر : المرجع السابق، نفس الموضع.

(٦٧) أخرجه الحاكم في " المستدرك " وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، كتاب التفسير، ومن سورة آل عمران، حديث رقم (٣١٦١).
(انظر : الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، المستدرك على الصحيحين، مرجع سابق، (٢ / ٣٢٣))

(٦٨) الإحن : الحقد والضغن والغضب والعداوة. يقال : من زرع الإحن حصد المحن.
(انظر : عبد الحميد، أحمد مختار ، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، (١ / ٦٨)).

(٦٩) أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، مرجع سابق، (٣ / ١٤١٣، ١٤١٤).

(٧٠) المرجع السابق، (٣ / ١٤١٤).

(٧١) انظر : المرجع السابق، (٣ / ١٤١٤، ١٤١٥).

(٧٢) انظر : الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ، (١ / ٤٣٧).

(٧٣) أخرجه البخاري في صحيحه، ٢ – كتاب الإيمان، ٣٧ – باب سؤال جبريل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم (٥٠)، (١، ١٩).

(٧٤) انظر : القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، محاسن التأويل، تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، (٢ / ٤١٣).

فهرس المصادر والمراجع

١/ ابن الأثير الجزري، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق : علي محمد معوَّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢/ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٣/ ابن حنبل، أحمد، أبو عبد الله الشيباني، المسند، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، وطبعة دار الحديث، القاهرة، بتحقيق : أحمد محمد شاكر، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٤/ ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.

٥/ ابن فارس، أبو الحسن أحمد، ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٦/ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق : سالم محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٧/ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١.

٨/ أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، القاهرة.

٩/ الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥م.

١٠/ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، شرح وتعليق : مصطفى ديب البغا، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

١١/ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق : محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٢/ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق : مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٣هـ.

١٣/ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٤/ الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

١٥/ الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق : مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

١٦/ الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح : محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.

١٧/ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١٨/ الزبيدي، مرتضى، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية.

١٩/ الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٢٠/ الزركلي، خير الدين محمود بن محمد، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م، وأيضا : ط ١٥، ٢٠٠٢م.

٢١/ الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣،

١٤٠٧هـ.

٢٢/ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٢٣/ الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.

٢٤/ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني، ط ٩، ١٣٩٩هـ.

٢٥/ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ط ١، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م ، بتحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٦/ عبد الحميد، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

٢٧/ العلَّاف، عبد الله بن أحمد الغامدي، فضل الصدقة والإنفاق، مكة المكرمة، شعبان، ١٤٢٧هـ.

٢٨/ القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.

٢٩/ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، وطبعة دار الكتب المصرية، ط ٣، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

٣٠/ القسطلاني، شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣هـ.

٣١/ المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٦٥هـ / ١٩٦٤م.

٣٢/ مسلم بن الحجاج، أبو الحسين، صحيح مسلم، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت ، وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٣/ الملا الهروي القاري، أبو الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

